مقامات عراقية

يتناول البعض تحليلاً عن خلفيات الإرهاب السني في العراق، ويستندون إلى أخبار ومعلومات استخباراتية في دعم تحليلهم الذي لا تنقصه العقلانية ولا يحتاج في هضمه إلى كثير تعسف والتواء وتحايل (كما هي بقية التحليلات الخيالية التي تنطلق من نظرية المؤامرة)، فهذا التحليل وإن كان من تلك الطائفة، إلا أنه يتمتع بمعطيات منطقية.

يذهب التحليل إلى أن غزو العراق وتحريره من صدام كان قبل كل شيء، عملية أمنية وقائية ضد الشبكات الإرهابية التكفيرية والبعثية.. وأن صنع النموذج العراقي القدوة، والديموقراطية، وقطع دابر الفساد، والحرية، وما إلى ذلك من معالم مشروع الشرق الأوسط الجديد، كلها أمور جاءت في المرحلة التالية لذلك الأصل.

كانوا يريدون أن يخلقوا معركة في قلب الجبهة الإسلامية، بل خلف الخطوط وفي عمق البلاد الإسلامية، حيث لا قيمة للعباد، ولا أهمية للبلاد! تشغل الإسلاميين وتجتذب طاقاتهم البشرية والتمويلية بعيداً عن أوروبا وأمريكا.

فاصطنعوا هذه البؤرة، لتستنهض الخلايا النائمة في العراق، وتستقطب شقيقاتها في المنطقة بأسرها، وتدور رحى معركة استنزاف، لا يهم كم تمتد وتطول، بل المهم استمرارها والانشغال بها عن أي عملية في الغرب.

هكذا يتحول العراق الى فرن لإحراق النفايات، أو مطمر لدفنها والتخلص منها.

ويقال أن نزاعاً شديداً يبلغ حد الصراع بين السلطة العراقية الجديدة، والقوات الأمريكية، يعود لخلفية هذا الأداء المدمر.. إذ تشتكي السلطة من عدم جدية الأمريكيين في القضاء على الإرهابيين، وتعمّدهم الإبقاء على رؤوس جسور توجه خطاباً خفياً ونداءً معنوياً للمتطرفين: يوجب عليهم النصرة، ويستنهض الغيرة والحمية ويدغدغ فيهم مشاعر إمكان النصر، إذ مازال لهم إخوة يجاهدون هناك! ولوجستية تؤمن الإمكان العملي لاستقبال الإرهابيين وتمكينهم من العمل والجهاد!

وبعد العراق وشيعة العراق المستهدف الأول من هؤلاء الحمقى.. يأتي دور السنة ليدفعوا من أغلى ما يكون!

وفي الدعاء اللهم لا تجعل مصيبتي في ديني.

إن الشيعي في العراق اليوم يخسر ابنه وأخاه قتلاً فجيعاً بحيث لا يعثر لهما على جنازة، ويخسر مسجده وحسينيته هدماً وتدميراً، ويفتقد أمنه وأمانه، ويحرم من رزقه وأكل عيشه، ويعدم الخدمات الصحية والتعليمية والبلدية، ولا يملك للراحة سبيلاً..

فيحتسب قتلاه عند الله شهداء يشفعون له يوم القيامة، ويصبر على بلواه وفقره وما ينزل به، فهو ابن بجدتها، وقد عركته ويلات صدام فتحصن وغدت مناعة لا ينال منها شيء، ثم يعيش الأمل بغد زاهر له، أو لأبنائه، فيأتي من يبني مسجده ويشيد حسينيته ويداوي جراحه.

لكن السني مصابٌ في دينه!

فهذه الجرائم التي تجري في العراق اليوم هي التي ترسم شكل الإسلام السني في العراق، هي التي تعكس صورته، وهي الآلية الوحيدة التي تطرحه وتعرفه للمجتمعات وتسجله للتاريخ والأجيال القادمة. فالحدث الذي يكتبه هذا القدر الخرافي من الدماء العظيمة، ويسطره هذا الكم المهول من الدمار والتخريب، لا يمكن أن يمحى من التاريخ، ولا يمكن أن يقفز عليه قلم أجير أو تطمسه أيد عابثة.. والبشرية مازالت تذكر المغول والتتار بما تذكر، ولا تستثنى مغولياً كان معارضاً لهولاكو، أو رافضاً لما يقوم به جنكيز خان، أو ينفض جيبه ويتبرأ مما يفعل تيمورلنك؟ فالأمم تسجل بعناوين أعمالها وتحت رايات قادتها وبأسمائهم.

هكذا تحول التسنن في العراق من حضارة الفن والجمال، ومن إبداع القبب والمآذن والمقرنصات، والخط الكوفي الخالد، من المدرسة المستنصرية، من تصوف معروف الكرخي وزهد بشر الحافي وعرفان الجنيد ومرونة أبي حنيفة وسماحته، إلى دموية الزرقاوي وجلافة حارث الضاري وقسوة الحديدي.

لقد أصيب السنة في العراق في دينهم، وهي ظلامة لا يقاس بها شيء..

ونقول ظلامة لأننا نعلم أنهم ليسوا جميعاً على تلك الشاكلة، وأن فيهم من يرفض الإرهاب، ويأبى التدمير لبلده ولإخوانه من المواطنين، ولكن ماذا عساه أن يفعل، فإذا كانت تصفية الشيعي تحتاج إلى تخطيط ومؤونة وعملية انتحارية، فإن إعدام السني في الرمادي والموصل والفلوجة وتكريت وسامراء وبعض ضواحي بغداد لا يكلف التكفيريين إلا ثمن الطلقة النارية.

ماذا جرى وكيف، ومن الذي سمح ببروز هذه الصورة عن الإسلام السني في العراق؟ هل هي المؤامرة الأميركية التي استدرجت شذاذ الأفاق وجعلت من العراق بؤرة تستقطبهم لتقضي عليهم هناك، بدل أن تواجههم في نيويورك؟ لست أدري، ولكن الأمر يحتاج إلى وقفة

شجاعة ينسلخ فيها السني عن خوفه أولاً، ثم لا يبقي في نفسه ذرة من عصبية وحمية جاهلية، وينطلق كما انطلق وتحرر مثال الألوسي.. لعل وعسى.

كنت أشاهد قناة فضائية عراقية، تعرض حلقة ذكر لمولد تنشد فيه مدائح النبي وآل بيته الطاهرين، وفي مضامين الأشعار التي كانت الفرقة السنية تترنم بها، ما لا يقوله الشيعة في مقامات أهل البيت ومحبتهم.. بالله هل هؤلاء نواصب يبيحون دماء الشيعة؟ هل يمكن أن يخرج من هؤلاء الذين يأخذهم الطرب وتستغرق بهم النشوة على ذكر الحبيب فيتمايلون من العشق والوجد، بل يخرج من بينهم إرهابي يتمضمض بالدماء ويفطر على أشلاء الموتى؟ كلا وألف كلا..

حقاً إن السنة مظلومون في العراق؟ لقد سرقهم الزرقاوي، وفتنهم الإرهاب باسم الجهاد، وصدقوا ابن لادن والملا عمر، وفتحوا بلادهم لطرائد الأفغان.. وانصاعت الجموع ونهضت العصبية، ولم يبق للعقل محل.

صحيفة القبس - ١٥ / ٩ / ٢٠٠٥

الأستاذ/ خالد حسين الشطي